انتخاب الجبوري... هل اقتربت نهاية الأزمة الحكومية في العراق؟

■ حميدي العبدالله

انتخب سليم الجبوري النائب في تكتل «متحدون» رئيساً للبرلمان العراقي، في خطوة شهدت اكتمال النصاب لجلسة الانتخاب، على عكس ما كانت عليه الحال في ثلاث جلسات سابقة. وأثار انتخاب الجبوري شيئاً من التفاؤل بحصول تفاهمات عراقية وإقليمية ودولية قد تسرّع في خروج العراق من الأزمة الحكومية التي تصاعدت بعد تمدد «داعش»، وبعد اعتراض البارزاني وتكتل «متحدون» علناً على عودة المالكي رئيساً للحكومة الجديدة، فهل يستند هذا التفاؤل إلى شيء من الوقائع أم أنه مبنيّ على سراب؟

لم يكن ثمة خلاف أساساً على اسم الشخص الذي سيترأس البرلمان العراقي، إذا كان هذا الشخص بديلاً من أسامة النجيفي الذي تحمّله قوى عديدة هو وشقيقه آثيل النجيفي محافظ الموصل مسؤولية سقوط محافظة نينوى تحت سيطرة «داعش». وكان متوقعاً حدوث تغيير في شخص رئيس مجلس النواب لسببين أساسيين، الأول مناورة سياسية من قبل تكتل «متحدون» وبعض الأكراد للقول إن «متحدون» سمّت شخصاً غير النجيفي، وعلى تكتل «دولة القانون» ترشيح اسم آخر غير المالكي أسوة بما فعل تكتل «متحدون». والسبب الثاني أنه كان صعباً تسويق النجيفي في ظل دوره الملتبس وشقيقه بما حصل في الموصل وصلاح الدين، وبالتالي فإن عدم تقديم مرشح بديل يعزز مواقف نوري المالكي وحججه للترشح لرئاسة الحكومة الجديدة.

كذلك، ليس ثمة خلاف على المرشح لمنصب رئاسة الجمهورية، فهذا المنصب محجوز للأكراد، وتحديداً لمرشح من حزب جلال الطالباني الذي لم يتورط في الدعوة إلى انفصال الأكراد واتخاذ مواقف تصعيدية مثلما فعل مسعود البارزاني.

الخلاف أساساً هو على نوري المالكي، إذ تعترض كل من السعودية وقطر وتركيا على عودته إلى رئاسة الحكومة، كما أن الولايات المتحدة تضع شروطاً للموافقة على عودته، ومن هذه الشروط إعادة قبول الوصاية الأميركية على العراق على غرار ما كانت عليه الحال إبان الاحتلال الأميركي، كما أن حلفاء المالكي في التحالف الوطني، وبخاصة «الصدريين» يعارضون عودة المالكي بشكل مطلق إلى رئاسة الحكومة.

هذه الاعتراضات هي أساس الأزمة الحكومية القائمة في العراق، وبالتالي لم يطرأ على هذه الأزمة والعوامل المسببة لها أي تغيير، فما برحت مواقف الأطراف المعارضة لعودة المالكي على حالها، وبالتالي لم يؤدّ انتخاب الجبوري رئيساً للبرلمان العراقي إلى اقتراب موعد نهاية هذه الأزمة، والأرجح أنها سوف تطول، ولن يحسم الأمر قبل حصول تطورات ميدانية كبرى تغيّر التوازنات القائمة الآن في العراق، وتسمح بالتالي إما بإبعاد المالكي أو بإعادة تأكيد ترشيحه، وهذا أمر يصعب من الآن حسمه.

هذي امرأة فلسطينية غزاوية من بلادي... فانحنوا لها احتراماً

■ نصار ابراهيم

بين جميع المشاهد وقفت صامتاً أمام مشهد تلك المرأة الفلسطينية الغزاوية الباسقة الباسلة (ليتني أعرف اسمها) وهي تمشي على وقع الدمار العظيم، ترفع قبضتها في وجه السماء ووجه الأرض غضباً. هي أمي وأختي وابنتي، تداعب الريح منديلها البرتقالي، تمسك بذيل ثوبها الأسود الناهض كراية وسط الرماد، وتمشي بوضوح صارم وجميل مثل عصفور الشمس الفلسطيني. تتألم بالتأكيد، لكن قبضتها تفيض حسماً ووضوحاً. دمار خلفها ودمار تحت قدميها ودمار أمامها... ومع ذلك تتقدم مثل رمح مشرع في وجه القتلة وأصحاب الجلالة والمعالي والنيافة والقيافة والسيادة وسائر ألقاب النذالة...

هي «إلهة» غزاوية تنهض هكذا وسط الدمار. هي عنقاؤنا وروحنا، تسير كأنها تدوس بحذائها جميع تعابير «الحرية» و«الديمقراطية» و«الإنسانية» و«حقوق الإنسان»... فمنديلها أكثر حرية من «حريتهم» كلها، وقبضتها أكثر ديمقراطية من «ديمقراطيتهم» كلّها و«شبْشبها» أكثر إنسانية من «إنسانيتهم» كلّها.

هي امَرأة فلسطينية الوجه من غزة، امرأة من أولي العزم. ولو اجتمعت نساء الأرض جميعاً لرجحت كفتها جرأة وجمالاً وصدقاً. لم تكن تبكي، بل كانت تحاكم العالم وتحشره بين الأنقاض و«شبْشبها». تلك الفلسطينية الغزاوية وهي تمشي فوق مَشهَدَ الدمار العظيم كانت كأنها تلقي بيانها على العالم أجمع: أنا هنا... نحن هنا... غزة هنا... نستشهد، نحرَق، ندفن تحت الأنقاض، تمسح بيوتنا عن وجه الأرض... تشتعل غزتنا في جحيم النار والقتل الجماعي... لكنني أنا المرأة الفلسطينية الغزاوية وأنا أودع في كل دقيقة شهيداً... أقول لكم من هنا، من فوق أنقاض بيتي وبيوتنا، التي قد يكون تحتها حتى اللحظة بعض شهدائنا، أقسم لكم بقبضتي هذه وأنا أقف فوق دمار وشهداء، لن تنالوا من غزة... فثمن كل حجر أو شجرة أو طوبة شهيد... ولتعلموا أن دمنا ودموعنا يعادلان الكون، أنظروا إليّ الآن واسمعوني جيداً، فأنا لا ألقي بياني هذا من قاعة مغلقة أو من صالة أخبار، بل من ميدان المواجهة.

وانظروا إلى قبضتي جيداً فهي سر قوتي، وهي سر غزة، فيها أودعت أحلامها وثقتها وأسرارها، بها دفنت الشهداء واحداً تلو الآخر، وبها بنيت بيتي حجراً حجراً. ولذلك هي التي ستقرر منذ الآن، فقبضتي هي القيادة ومركز القرار، وهي البداية والنهاية.

صدقت يا أختي (مرة أخرى ليتني أعرف اسمك لأخاطبك به مباشرة). أعرف أنك تتألمين، وأعرف أنك فقدت أحباء، وأعرف أنك فقدت بيتاً وجيراناً وذكريات، وأعرف أن ألمك هائل وشاسع، وأعرف أن قلبك يرتعش مثل فراشة، وأعرف أن عينيك تبحثان عن شتلة ريحان أو نعنع زرعتها يوماً هنا تحت هذا الركام، وأعرف أنك تحلمين بجلسة هادئة على شاطئ بحر غزة، وأعرف أن الموت حزين، والفقد مؤلم، وأعرف أن الجرح عميق، وأنك تعشقين الأطفال وزهر الياسمين، وأعرف أنك تكرهين القتل والدم والحرائق وتحلمين بصباح هادئ مع فنجان قهوة أو كأس شاي... لكنّهم يا أختي لا يحترمون ذلك كله. ولأنك أدركت هول وحشيتهم وفاشيتهم وعنصريتهم وجبن حلفائهم من غرب ومن شرق ومن عرب ومن روم، امتشقت ذاتك ونزلت إلى الميدان تمسكين بذيل ثوبك المقدس وترفعين قبضة عارية إلاّ من الروح، رأس شامخ، وقامة عالية، وصرخة حاسمة، ومنديل بلون البرتقال يرفرف في فضاء غزة ودمارها كأنه يحاصر العالم كله ويحاكمه.

لي عندك يا اختي رجاء وحيد وهو: ألاّ تسمحي لأحد مهما يكن دينه أو انتماؤه أو اسمه أو طائفته أو دولته أو مقامه أو لقبه بأن يتاجر أو يساوم على دماء غزة، ومقاومة غزة، وعلى كرامتك، أو دمار بيتك أو دموعك أو صرختك الأبية، أو قبضتك الهادرة أو طرف منديلك أو ذيل ثوبك... أن تصفعي وجه من يحاول ذلك بـ«شبشبك» المثقل برماد الدمار.

لك المجد وأجمل ما في الحياة يا امرأة غزاوية من بلادي وأنت تلقنين العالم دروساً في الكرامة والأخلاق والسياسة والمقاومة والصبر والعزة ووضوح الكلمة وصراحة الخطاب وثبات القلب ورهافة العينين.

بلى، هذي امرأة فلسطينية غزاوية من بلادي، فانحنوا لها احتراما!

غزّة... على نصرها يُبنى الكثير

■ رامز مصطفى

قدر غزة اليوم أنها تتحمّل مسؤولية رسم أفق مستقبل قضية الأمة كلها. وقدرُ غزة التي لا تبخل أو تتخلف أو تشكو ألمها وحزنها أن تواجه ببسالة منقطعة النظير آلة العدوان الهمجي الصهيوني، وتواجه ظلم ذوي القربى وحالة التخلي عنها والتنكر لها كعنوان للنضال والكفاح الفلسطيني، وقد تجاوز التخلّي حدوده نحو الشراكة في منح الإجازة للكيان وآلة إرهابه، وفي الإيغال عميقاً في الدماء الفلسطينية. ما تتعرّض له غزة اليوم يأتي في سياق استكمال مشروع الإخضاع الذي تمارسه الإدارة الأميركية وحلفاؤها وأدواتها في المنطقة. وكل كلام آخر خارج هذين الفهم والتوصيف لا معنى له ولا قيمة على الإطلاق، بل هو مجرد تزويق بالمساحيق لتسويق وترويج منظمين يقوم بهما الكيان وطابوره الخامس وجوقة أدواته الوظيفية المشبوهة من إعلاميين وكتاب وصحافيين ومثقفين ووسائل إعلامية صفراء، محمّلين المقاومة مسؤولية ما يتعرض له القطاع وأهله، ويصب ذلك في خانة خلق الذرائع والمبررات لنتنياهو وتشكيل مظلة حماية وشبكة أمان لهذا الكيان وقياداته، لعدم مساءلتهم عن جرائمهم ومجازرهم التي أودت بألوف الشهداء والجرحى واليتامى والأرامل والمشردين من أهلنا في غزة. وتركي الفيصل وتوفيق عكاشة نموذجان.

على وقع العدوان الذي دخل أسبوعه الرابع، والفشل الذريع الذي مُني به نتنياهو وقادته بسائر منظوماتهم «الأخلاقية» والإعلامية والإستخبارية والعسكرية.

في المقابل، نرى أن الدول الإقليمية الحليفة للولايات المتحدة الأميركية والكيان الصهيوني، تشهد صراعاً محتدماً في ما بينها، إنما ليس حول الأولويات والمصالح الوطنية أو القومية للأمّة، فهذه الدول متورطة أساساً في ما تعانيه المنطقة ودولها من حوادث وحروب منذ أربع سنوات، من خلال التحريض على الاقتتال وتصدير الإرهاب بأدواته ومسمياته المختلفة وضخ السلاح والأموال، وهي ذاتها تعمل جاهدة اليوم على منح نتنياهو وعدوانه انتصارات ونجاحات في السياسة. هذا ما تؤكده الوقائع وما تسربه وسائل الإعلام المتعددة، بالإضافة إلى العديد من الكتّاب والصحافيين والإعلاميين الذين يؤكدون أنّ سياق العدوان واندفاع نتنياهو وحكومته إلى تنفيذ هذا العدوان لم يكن ليحصل لولا الاطمئنان غير المسبوق لدى الكيان وقياداته من ردود الأفعال لما ارتكبه من مجازر على مدار الساعة في حق الآمنين في غزة من أطفال ونساء ومسنين. وصرّح شمعون بيريز أمام مستشفى «سوروكا» في بئر السبع قائلاً: «هي الحرب الأولى التي تشنها «إسرائيل» وغالبية العرب معها». كذلك وجه شاؤول موفاز دعوة إلى السعودية والإمارات كي تضطلعا بدور لنزع سلاح المقاومة. وأضاف موفاز أن في إمكان السعودية والإمارات أن تلعبا دوراً مهماً في توفير التمويل اللازم لتنفيذ هذه الخطة. وأوردت صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية في منتصف تموز الجاري أنباءً تفيد بنيّة «إسرائيل» طرح اقتراح في مجلس الأمن يقضي بتقديم 50 مليار دولار لإعمار غزة، مقابل التهدئة ونزع سلاح الفصائل الفلسطينية. ونقلت الصحيفة عن تلك مصادر حكومية قولها: «إن «إسرائيل» تريد الحصول على ضمانات دولية كتلك التي تمّ الاتفاق عليها في ملف نزع الأسلحة الكيميائية السورية».

حيال مشهدية العدوان على غزة، طفا على السطح الإقليمي صراع المحورين المتصادمين، فالسعودية ومصر والإمارات في جانب، وقطر وتركيا في جانب آخر، وكلا الجانبين عند الإدارة الأميركية، التي أوعزت لكليهما المسارعة في البحث عن مخرج للمأزق الذي أوقع نتنياهو نفسه فيه نتيجة العملية العسكرية التي شنها على قطاع غزة. ورغم حالة الولاء التي تبديها هذه الدول للولايات المتحدة، إلا أن كلا المحورين أراد توظيف ما يتعرض له قطاع غزة من عدوان بربري ومجازر مفتوحة في مواجهة بعضهما البعض على حساب الدماء الفلسطينية، على خلفية ما وقع في مصر من إسقاط نظام الرئيس محمد مرسي، بمعنى إسقاط نظام «الإخوان المسلمين». والمبادرة المصرية التي رفضتها المقاومة أتت في سياق قطع الطريق على المحور التركي– القطري، وبالتالي تحديد سقف أيّ تفاهمات سياسية تفضي إلى وقف العدوان والدخول في تهدئة مستدامة بمباركة أميركية. كذلك فعلت السلطة الفلسطينية. المؤكد أن «الإسرائيليين» ليسوا بعيدين عن وضع لمساتهم على هذه المبادرة التي سارع نتنياهو إلى الموافقة عليها، ما يعني أن نتنياهو يأخذ جانب المحور السعودي ـ المصري في عملية كسب أساسها العرض والطلب، ولا يعني في أي حال من الأحوال أن المحور التركي ـ القطري يأخذ في حسبانه شروط المقاومة ويتبناها. إذ كشفت الإذاعة العبرية النقاب عن وصول مبعوث تركي خاص إلى «إسرائيل» كمبعوث لرئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، للسير قدماً في مفاوضات وقف إطلاق النار في قطاع غزة. والاتصالات القطرية «الإسرائيلية» نشيطة في هذا السياق. بل على العكس، يتقاطع هذان المحوران، باستثناء مصر، عند مشتركات تتجلى ترجماتها العملية في ما تتعرض له الدولة السورية من محاولات لإسقاطها كنقطة ارتكاز استراتيجية في محور الممانعة والمقاومة الممتد من إيران إلى فلسطين مروراً بسورية ولبنان. وبالتالي فإن المحاولات البائسة لدول هذين المحورين في حرمان دول وقوى المقاومة والممانعة تمنع لعب دور مؤثر في مجريات ما يتم ترتيبه من خطوات وترتيبات سياسية كمحصّلة لانتهاء الحرب والعدوان على المقاومة وأهلها في قطاع غزة. ولقطع الطريق على هذه المحاولات ومنع الاستفراد بالمقاومة الفلسطينية، كانت كلمة السيد نصرالله وما حملتها من رسائل للقريب والبعيد بأنّ الحزب يراقب عن كثب تطورات العدوان. كذلك تصريحات الإمام الخامنئي الداعية إلى ردع العدوان وتسليح الشعب الفلسطيني، فضلاً عن الحركة الدبلوماسية الإيرانية النشيطة في أكثر من اتجاه. وليس بعيداً عن هذا السياق كانت كلمة أمين الجهاد الدكتور رمضان شلح، وقائد كتائب القسام المجاهد محمد الضيف، إذ أكدتا على أن المقاومة لن تخذل تضحيات أهلها وشعبها وهي تتمسك بشروط المقاومة قائلة للعدو إنّ المقاومة قادرة على مواصلة القتال الذي سينتهي لمصلحتها ومصلحة الشعب الفلسطيني. ولعل التصريحات التي أدلى بها اللواء قاسم سليماني قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني واعتبرها المراقبون بمثابة التحذير من محاولات إسقاط المقاومة الفلسطينية عبر المطالبة بسحب سلاحها، بتصريحاته عشية إعداد الولايات المتحدة وحلفائها شن عدوان واسع على سورية، حين قال إن كل جندي أميركي أو أجنبي يدخل سورية سيعود إلى بلده في تابوت.

إن الأيام أو الساعات المقبلة حاسمة، خاصة في الميدان الذي يميل لمصلحة المقاومة رغم قوة النيران وآلاف الغارات الجوية والقصف المدفعي البري والبحري المتواصل والمجازر المتواصلة التي تودي بحياة المزيد من الشهداء والجرحى على مدار الساعة. وهي حاسمة في ما يدبر للمقاومة من أفخاخ وأشراك سياسية تهدف إلى إسقاطها، وهناك من يطالب بـ1701 بنسخة فلسطينية. لكن يبقى الرهان دوماً على المقاومة في الميدان، وقد حسمت أمرها في التصدي للعدوان ومواصلة القتال حتى تحقيق النصر الذي يُبنى على نتائجه الكثير في المشهد الإقليمي.

سياسة «إسرائيلية» ثابتة... ضرب القطاع لإبقائه ومقاومته ضعيفين

■ جاك خزمو*

تعدّدت أسباب شنّ «إسرائيل» حربها العدوانية الثالثة على قطاع غزة، ومن أهمها ضرب المقاومة الوطنية والإسلامية في هذه البقعة الصغيرة من فلسطين التاريخية، وإبقاؤها ضعيفة قدر الإمكان. ويندرج هذا السبب ضمن استراتيجية «إسرائيلية» واضحة المعالم أنه لا يجوز السماح بتحويل القطاع الى جنوب لبنان آخر، إذ أن «إسرائيل» انسحبت من الجنوب اللبناني في 25 أيار 2000، وكانت الخطة أنه في حالة وقوع أي اعتداء من المقاومة اللبنانية، ترد «إسرائيل» عليه بضربات جوية. والخطة نفسها وضعت أيضاً عند الانسحاب «الإسرائيلي» الأحادي من القطاع في آب 2005، لكن في تموز 2006 شنت إسرائيل» حرباً ضارية على لبنان بذريعة اختطاف جنديين على الحدود الشمالية، وتبين في هذه الحرب أن المقاومة خلال السنوات عززت قدراتها وإمكاناتها، وظهر سلاح الصواريخ الذي نقل المعركة الى داخل «إسرائيل».

من «حظ القطاع» أنّ الانسحاب «الإسرائيلي» تم قبل حرب تموز بعام، ولو لم يتخذ شارون قراره بالانسحاب الأحادي عام 2005 وكانت ولو لم تكن تموز 2006 لبقيت «إسرائيل» موجودة في القطاع، خاصة في منطقة «غوش قطيف»، فاتفاق أوسلو سلم جزءاً من القطاع ولم يسلم كلّه إلى السلطة الوطنية الفلسطينية.

وانطلاقاً من استراتيجية أو عقلية عدم السماح للمقاومة في القطاع بتعزيز ومضاعفة قدراتها وإمكاناتها فرضت حصاراً على القطاع لمنع دخول السلاح إليه، وقررت شن حرب بين فترة وأخرى لاستنزاف قوة المقاومة «الصاروخية والقتالية». وقد واجه القطاع ثلاثة حروب عدوانية في السنوات التسع الماضية، أي بمعدل عدوان كل ثلاث سنوات تقريباً. وتبين لـ«إسرائيل» أيضاً أن الضربات الجوية لا تكفي، وذلك من دروس حرب تموز 2006 على لبنان وعبَرها، لذا اضطرت إلى استخدام الاجتياحات البرية أيضاً. لكن الحرب الثالثة اختلفت عما عن الحربين العدوانيتين السابقتين على القطاع أواخر عام 2008 وفي خريف عام 2012.

لذلك فإن الادعاء بأن «إسرائيل» قد «جُرّت» الى هذه الحرب هو ادعاء باطل، وعملية اختطاف المستوطنين الثلاثة مساء 2014/6/12 كانت مجرد ذريعة ملفّقة، وفما حمّس «إسرائيل» على ضرب المقاومة وشن هذه الحرب عدد من العوامل، أبرزها تحقيق اتفاق المصالحة وتشكيل حكومة وفاق وطني فلسطينية، فـ«إسرائيل» لا تريد أن تكون هناك أيّ مصالحة، وتريد أن تكون «الدولة» الفلسطينية مستقبلاً عدة دويلات أو كانتونات مقسمة جغرافياً، ومنقسمة سياسياً، إضافة الى مطالب اليمين «الإسرائيلي» حول ضرورة القيام بهذه الحرب ضد القطاع لحسابات حزبية. كما أراد نتنياهو، كرئيس لحكومة الائتلاف الوزاري، إبقاء هذا الائتلاف قائماً، وإبقاء حكومته الى حد ما مستقرة بعد وقوع خلافات عديدة حول مواضيع داخلية مختلفة. فكان العدوان على قطاع غزة أسلوباً أو طريقاً للحفاظ على هذه الحكومة، ما يعني أن القطاع هو «كبش الفداء» و«الضحية» لأجل استقرار حكومته وإرضاء اليمين المتطرف الذي راح يزايد عليه.

كذلك من يَدّعي أن «إسرائيل» أجبرت على شن هذه الحرب هو ساذج وواهم ومضلل، لأن سياسة «إسرائيل» المرسومة والمتبعة تعتمد على ألا تقوم أيّ قيامة للقطاع لا سياسياً ولا عسكرياً، ولا بدّ من شن العدوان عليه بين فترة وأخرى!

استناداً إلى ما ذكر آنفاً، فان مطالبة المقاومة بإنهاء الحصار على القطاع ووقف «إسرائيل» عدوانها المتواصل عليه كشرط لوقف إطلاق النار، كان رداً على هذه السياسة «الإسرائيلية» لإنهاء معاناة أبناء شعبنا هناك، أي أن المطالب التي تطرحها المقاومة شرعية ومنطقية تهدف إلى وقف هذه السياسة «الإسرائيلية»، إنهاء الاحتلال «الإسرائيلي» غير المباشر على القطاع، ومنع حرب عدوانية جديدة على القطاع.

هذه أبرز أسباب العدوان، وهناك بالطبع أسباب اقتصادية ملحة ومهمة كانت وراء شنّ هذه الحرب العدوانيّة.

*رئيس تحرير «البيادر» ـ القدس المحتلة

«الديمقراطية»... الكذبة الملعونة

■ ثائر أحمد إبراهيم*

عدني أن تنصت قليلاً إلى محدثك عن «الديمقراطية»، وأعدك أن تتقافز في رأسك جميع رغباتك المقموعة لاستخدام أقذع الألفاظ ردّاً على هرطقات الحضارة المبهرجة.

ما عليك إلاّ أن تدقق في كلام محدثك «الديمقراطي»، لتعرف أنها كذبة روّج لها وأصّلها أولئك الساعون إلى سلبك عقلك.

هم أرادوها مطيّة يركبونها متى أحسّوا بضرورة إطاحة حريتك.

لا تصدقهم فهم كاذبون.

إنها وسيلة ناجعة للتدخل في شؤونك.

عساك لا تصدق مقالي أو ربما تصدق. مهما يكن الأمر، أدعوك إلى التفكر بعد الاستماع.

لعلك انتبهت إلى الحالات التي وقف فيها عقلك مبهوتاً أمام حماسة محدثك بغضّ النظر عن فحوى الحديث.

هل ميّزت موبقات التفكير المستخدمة لتبرير أو إمرار الكذبة الكبرى المنسوجة وفق معتقدات حاخامات البيت الأبيض الماسوني.

تذكّر أولاً أن «الديمقراطية» سرّ الداء ورمزه، وهلّم بعدئذ لنسمع ما لم يسمع قبلاً عن عتاة الديمقراطيين الغربيين (إنكليز وفرنسيين وأميركيين و...).

تعال لنتبيّن فكرة واضحة في مقالة محدثي «الديمقراطية» غير إيعازاتهم الموجهة للجميع كي يكونوا جنود الخنوع والخضوع والتسليم بما يريده الحاخام الأكبر «الديمقراطي».

قبل ذلك أنبئك بأنك ستستمع ألف ناعق يستهزئ بما قد تصل إليه من حقيقة ضاغطا على فكرك بمختلف أنواع الضغط الإعلامي الذي درب على فعله لدى دفاعه الساعي إلى إبطال صدقية القائلين بنظرية المؤامرات.

لا تعبأ بهم واستمر، فبالجد والمثابرة تبلغ الغاية.

لست أشك أو أرتاب، ولست أخالك ستفعل، في أن حقيقة الباطل باطل، وأن باطل الحقيقة باطل، ولو اتفقنا على ذلك فمن الحق أن أقرّ وتقرّ معي بأنه لا يمكن أن يصبح حقيقة ما كان أساسه باطلاً، فالباطل وفي أحسن حالاته لا يعدو كونه الهباء.

الحقيقة أن أميركا قامت على الدم، وأن أوروبا عاثت بأرواح البشرية وفعلت ما لم تفعله شياطين الدنيا، فمعظم حروب العالم شنها دعاة «الديمقراطية» في دول الضباب والربا والإمبريالية العفنة، وأما الباطل فهو ادعاء أولئك القتلة بأنهم صانعو سلام، وبأنهم أحباء الشعوب ومخلصوهم من بطش جلاديهم.

سيقولون إنه لا يمكن لطاغية أن يبني دولة قانون، وهذا كلام في التاريخ يلقيه التسليم بداهة برفض حكم أي طاغية، إلاّ أن تعريف الطاغية في معتقدات صانعي «الديمقراطية» تختلف جذرياً عن حقيقة الطاغية في عرف الكون كله، لذا لا تفاجأ عندما يخبرونك بأن حمورابي كان راهباً متنسكاً في كهوف العبادة، فهو صاحب المدوّنة الأعظم والأكثر ديمقراطية في التاريخ، حتى قيل إن ما نصت عليه مدونته المشهورة أعطى المرأة من الحقوق ما لم تعطه «الديمقراطية» الفرنسية في القرن العشرين. إنه أكبر جنون روجت له قوة العدالة، فقارئ سيرة حمورابي لا يمكن أن يغفل سيل الدماء النازفة لأجل بناء دولة القانون المندرسة، وفي المقلب الآخر سيثبتون لك أنّ مؤسسي دولة اللاهوت المحمدية في عهد محمد بن عبد الله (ص) والخلفاء الراشدين سفاحون قتلة اخضعوا الدنيا بحدّ السيف.

لست أنا من يقول ذلك، إنه التاريخ الذي صنعه دعاة «الديمقراطية».

لم يعد أحد يخجل من مؤرخين «ثقاة» اتبعوا إرادة صنّاع التاريخ ونفذوها، فالجميع يعلم أنّ التاريخ كتبته الأقلام المرتزقة.

لست أطلب أن تصدق بالمطلق ما أقول، فهذه قاعدة لا تنطبق على الجميع (أعني الخجل من كتاب التاريخ ومزوّريه)، فالخجل واجب إذا رُمت نقد بعض التاريخ، خاصة ذاك المتعلق بحُماة الحرية في عصور النهضة المزعومة، والعار قائم وملمّ بالأصول والفروع والأحفاد والمحبين والمناصرين لكل معارض أو مشكك في تاريخ الأحرار الغربي وسيرة أسياد «الديمقراطية» بدعة القرون الحديثة.

لو علمت أن نابليون العظيم باني دولة الحق والقانون في أوروبا العصرية ما هو إلاّ سفاح قاتل مهووس فكيف تصدق تاريخهم بعد ذلك.

ولو علمت أن الدولة «الديمقراطية» التي أبت إلاّ أن تفيض بقدسيتها النابعة من حبها للحرية على العرب الجزائريين بأكثر من مليون شهيد بَخِل عليهم تاريخ الحضارة بقليل من الاحترام عندما رفض الاعتراف بشهادتهم أو الاعتذار لمصرعهم، هي ذاتها الداعية إلى تحرير أهل البيت السوري من سوريته، وأهل البيت العربي من عروبته بدعمها كائنات همجية مجرمة أقل ما يقال عنها إنها خارج مملكة الإنسانية، فكيف ستقتنع وتقنع الآخرين بصدق التاريخ.

الجزائريون الذين لم يكونوا شهداء على لاحقات الحوادث ولم يكن بينهم من شاهدَ هولَ ما صنعته «ديمقراطية» فرنسا بالعالم في زمن كان لها فيه اليد العليا، كانوا ضريبة لا بد منها في رحلة «الديمقراطية» السمحاء، مثلهم مثل أهل سورية الكرامة المراقة دمائهم بأيدي الثوار العبيد.

ثوار الخير من فرسان الهيكل ورجالات فرنسا الخاضعين لربهم بما تفضل عليهم يوم نصرهم على جلاديهم وقت الثورة الصناعية هم الأقدس، فقد استمتعوا بالرد على الإجرام بالإجرام.

هؤلاء ليس عليهم مأخذٌ ولا لوم، ندعو لهم ونمجدهم على ما أتحفونا به من دروس «ديمقراطية» في كيفية قطع الرؤوس وتطوير آليات الاستنطاق والتعذيب وأخذ الصالح بالطالح ليُروا العالم جمال الردّ الهادئ المسالم على ظلم ماري أنطوانيت ومليكها المغرور.

لا تستغرب إذا عرفت أنّ التاريخ سها عن أن يسجل أن ثوار الغرب ما كانوا أفضل حالاً من ثوار أمة أشغلتْ بفكِ الطوق الآسر لها والمفصل على مقاسها بتوافق الراغبين في «ديمقراطيتها» وتراضيهم.

هكذا كانت الثورات، وهكذا هي اليوم، بقر بطون وتقطيع أوصال وشرب دماء وانتزاع أحشاء.

لا أذيع سرّاً إذا قلت إنني كنت من أكثر المعجبين بالفلسفات السياسية العلمانية والوجودية والدينية والعقيدية والحزبية الديمقراطية المعاصرة، حتى تبنّت رجعيات النكد الخليجي العفنة مهمّة التبجيل لها، إذ عقدت لأجلها مجالس الرقص الشرقي وغيره في مدارس وحانات وزواريب أولى بعملية إرهابية وفق المعتقد الغربي لمفهوم الإرهاب لا تبقي ولا تذر، رجعيات أولى بالزوال مع من أدرجها وروّج لها من آلهة حكام صهيون وأذنابهم، عصابات القتل والسرقة، مافيا الظلام، أعضاء المحافل الماسونية الوهم. غير أنني وبعد معرفتي بنتائج التطبيق وبتكتيكاته لعنت الحالة ومحلليها، وكفرت بـ«الديمقراطية» ومنظريها، وعدت لأمجّد جميع الأوتوقراطيين الأشراف المهتمّين بسيادة بلدانهم.

سيقنعونك بأنه «لا تقوم طويلا دولة على ركائز الاستبداد» فتلك دول تحمل بذور فنائها في تكوينها، وأجزم بأنك لو تابعت سلسلة التحف الفكرية «الديمقراطية» الحديثة لن تضل أو تضلل عن جمال الانحلال الرأسمالي وسحره في تلك الدول، وفي مقدّمها بلاد العم سام المتماشية مع معتقدات مارك توين أكثر المخبولين عشقاً لـ«ديمقراطيتهم» النيرة التي ستتذوّقها عند تلاوته للمشهد «الديمقراطي» في كوخ العم توم.

ثق أنه لو كان المقصود بذلك الحديث «ديمقراطيات» الوهابية التلمودية والصهيونية التلمودية فإنّ كل ما قيل عن سيرورتها سيكون بشارة خير على فناء دولة الاستبداد الأعظم تاريخياً (الولايات المتحدة الأميركية). وثق أن التاريخ الذي أنكر على الإرهابيين المزعومين في حركات المقاومة الوطنية بمختلف تسمياتها ألوف السنوات التي أمضوها في أرضهم العربية سيسجل فناء الظلاّم الديمقراطيين قريباً.

التاريخ ذاته الذي أعلن هتلر إرهابياً من الطراز الرفيع لاحتلاله في مسيرة طموحه الخطير مناطق الألزاس واللورين من بلاد السيد شارل ديغول أعلن أن ذئاب الفرنسيين والبريطانيين مزهقي أرواح ملايين العرواقين سكان الأرض الأم الأميركية في رحلة بناء الدولة «الديمقراطية» المزعومة أبطالاً للحرية.

تلك ليست ازدواجية معايير، بقدر ما هي رؤية مفردة بعين الدجال الأعور.

هل علم «الديمقراطيون» ممتهنو استعمار الشعوب بمَ فعل هتلر العصر الراهن بالألزاس الغربية وقطاع اللورين على أرض فلسطين المقدسة. بلى، لقد علموا، لكنهم خرسوا عن القول الحق؟

هل سجل التاريخ دعم شيوخ ومؤمني الإليزيه المخاض المرتب بمعرفة ورعاية صاحبة أقذر ابتسامة عرفتها مزابل واشنطن المسعورة غوندي رايس، الحالمة بولادة شرق أوسط قبيح على شاكلتها؟ الإجابة حتماً معروفة.

التاريخ نفسه أنكر على عصابات المقاومة الوطنية والإسلامية وعلى من دعمهم من الدول المارقة في المنطقة الإسلامية والعربية وفق المعتقد الأنكلو ـ صهيوني وعلى من تجرّأ على ذكر حقوقهم أمثال شافيز اللاتيني ولي سونغ سيد العذرية النووية حقهم في إنجاز استحقاق الدولة الحرة المتطورة المتحضرة، الديمقراطية كما يشاؤون هم، لا كما يشاء بلهاء مدن الضباب. إنها المهزلة.

الدول غير العصرية من دول المغرب والمشرق العربي وغير العربي في العالم الخامس والسادس والسابع ومن تم تصنيفهم على قاعدة البيانات «الديمقراطية» بدول العالم الثالث مسلوبي الإرادة ومستحقي إدارة واعية ساعية إلى نفطهم وألماسهم وباقي ثرواتهم الطبيعية، هم بالتأكيد أكثر الدول الراغبة في ديمقراطية منسوجة بأيديهم لا بأيدي أكاسرة العصر الحديث وأباطرته.

الاسكندر الأعظم فاتح العالم في رؤية الأوروبيين هو ديكتاتور شرس، بيد أن المدقق سيعرف أن دولته غير المعاصرة ما هي إلا بُقيا أساطير من بقايا نظام جورج واشنطن والقديس أيزنهاور.

في إيران ثورة إسلامية أبعد ما تكون عن التحضر الغربي المصحوب بنعيق غربان البيت الأسود الأميركي الواقع – ويا لسخرية القدر – في الجهة الشرقية من أماكن هبوب زوابع الدول العلمية المتحضرة في صحراء نيفادا. هناك حيث «الديمقراطيون» الأوروبيون هم شركاء الحرية الحقيقية عند إجراء التجارب المباحة على كل سلاح جرثومي أو ذري، ولربما في يوم مأمول تلعب القدرة الخفية وفق المفهوم الوجودي دورها بقلب السحر على من عصي لتفني بخطأ تجريبي تلك الحضارة الوحشية، مقتطعة معها من التاريخ كامل الوقت الذي أمضاه «الديمقراطيون» في تنغيص حياة البشرية.

عندئذ فحسب سيكون لدينا الجلد لدعم القول المطروح والاتهام الملزم بتجريم كلّ ما يمت إلى الأصالة والأسطورة والرمز والقادر بصلة مرفقين به ما اقتطعته تلك الوحوش في هيروشيما ونكازاكي من فكر إنساني حق عليه العقاب من دون تعصب أو تمييز.

إن الدول الشمولية الظلامية محبة الموت بحسب مفهوم الغرب الحرّ، لن تكون قادرة على التحرّر من همجيتها وأحزابها الشمولية إلاّ إذا تابت إلى موجد الأحرار وانصاعت لتوجيهات الحذاء الديمقراطي الأبيض، لكن لأنها ذات فكر متحجّر لن تنصاع لما أوتي إليها من رسالات «ديمقراطية» ولا بدّ عندئذ من فرض الحرية عليها قسراً، فالحرية والقسر آنذاك لا يتناقضان حتى لو خلّفا عراقاً عنوانه خمسة ملايين قتيل وملايين المشردين وبلاد أبيدت وانتهكت حرمات أهلها وسرق تاريخها وثرواتها، فذلك كله لن يهم ما دام حصل كرمى عيون «الديمقراطية»!

كنا نظن أن أهم مبدأ من مبادئ «الديمقراطية» المزعومة هو حرية الاختيار وإعطاء الأولوية للأفضل في عملية اصطفاء يقوم بها من يقوم بها، لنحصل على نسبة 51 في المئة من أصوات مؤيدة في انتخابات نزيهة، منكرين النسبة (99 في المئة) إذا حدثت في انتخابات الحاكم الجائر، لكن الطوفان الناخب السوري الكاشف عن المزاج الشعبي في وطن العروبة المتروك من إخوانه في وجه عاتيات القوى المخربة أسقط ادعاءات حكم الشعب نفسه بنفسه حين تعارض مع قرار الحذاء الأبيض الماسوني. ألهذا الحد وصل الاستهزاء بعقول البشر؟ من سيصدق بعدُ تلك الأكاذيب؟

ستسأل سؤال حق عن تلك الأسطورة الممسوكة بيمين الماسون الأكبر وبيساره، وسيخبرونك أنها إرادة الله بتأييد شعبه المختار، عندئذ عليك تذكر كليم الله وسحرة فرعون المبهوتين. تذكر أن كل ما كان في يمينهم ويسارهم ليس سوى حبال مهترئة خداعة للبصر.

يريدون تدمير الرمزية وصورة البطولة، فإذا كان البطل في دول البطولة منسيّا فمن هو الجدير بالثناء؟ سؤال إياك أن تغفل معرفة جوابه.

واجههم بسؤالك، وافحمهم بمقالك، وارغمهم على الإجابة.

أيعقل أن نقوم ونقعد على حكاية الجيش الذي لا يقهر بعدما مرّغت عصابات الحقّ من محبي فلسفة الشهادة «كرامته» غير الموجودة أصلاً بتراب جنوب لبنان وغزة والضفة الغربية والعراق، أم أن قدسية البراعة الروحانية لمستخدمي بلاك ووتر ووكالة الاستخبارات المركزية العاجزين أبداً هم ولاعبو الحنكة الغيبية عن الإيقاع بفيدل كاسترو بعد أكثر من ستمئة محاولة اغتيال فاشلة، والنائمين في القطران عن ثورة العزة والإيمان في إيران المسلمة التي وجهت أكبر صفعة لعقل «الديمقراطية» الشيطاني بامتياز، والفاشلين وبكل فخر في قلب نظام الممانعة الشافيزي النفطي في فنزويلا، والزاحفين رغم «ديمقراطيتهم» المدمرة على مدار واحد وأربعين شهراً من القتل والتخريب من كراسيهم وحتى أعتاب عرين الأسد في دولة العرب الأخيرة ليطلبوا النصر الذي ضاع منهم في صيف تموز، يمنعون عبيدهم والمعتقدون بقدسيتهم من الاعتراف بالهزيمة القائمة.

«الديمقراطية» يا صديقي كذبة كبرى استخدمها أستاذ حسود ليبرّر طردَه تلميذاً خالف كلامه وأظهر غباءه بعد مناقشة دارت بينهما ادعي فيه على الطالب بالخروج على القانون والأصول المتبعة في مدرسة وقف مديرها وطلابها لمناصرة الباطل، مرغمين التلميذ غير «الديمقراطي» على مغادرة مدرسته من دون أن يمنح حق الدفاع عن نفسه، ليكتشف العالم بعد مقاومة عنيفة خاضها ذلك التلميذ ضد مصاعب الحياة وانتصر فيها أنه عالمٌ مبدعٌ لم تكن له غاية في المناقشة إلاّ أن يعطي الناس من فيض عقله الراجح.

«الديمقراطية» المفصلة لا لخدمة المؤمنين بها، بل لخدمة مستثمريها سارقي خيرات الشعوب، هي لعنة مؤكدة، إن لم تكن في الفكرة فهي في التطبيق مفضوحة.

فهل يصحّ منا بعدما تذوّقنا مرّها أن نشايعها؟

سؤال برسم من يقرأ ويراجع.

*محام